رأي القدس

ايران تضع امريكا في مأزق جديد

■ انتهى اللقاء بين خافير سولانا منسق الشؤون الخارجية للاتحاد الاوروبي والسيد علي لارجاني كبير المفاوضين الايرانيين بشأن الملف النووي دون التوصل الى نتائج ملموسة على صعيد قبول ايران بالصفقة الاقتصادية الامريكية ـ الاوروبية مقابل تجميدها لانشطتها النووية.

متحدثة باسم الاتحاد الاوروبي وصفت اللقاء بانه كان مخيبا للآمال، واكدت في الوقت نفسه على استمرار الاتحاد في مساعيه الدبلوماسية للتوصل الى حل سياسي لهذه المسألة.

الطرف الايراني ذهب الى هذا اللقاء دون ان يحمل الرد الذي تنتظره الولايات المتحدة اي القبول بصفقة الحوافز الاقتصادية والتكنولوجية، لان القيادة الايرانية مصممة على المضي قدما في مشاريعها لتخصيب اليورانيوم، ورفض اي محاولة امريكية او غربية لعرقلتها.

ويدرك الايرانيون انهم في موقف قوي للغاية، حيث يملكون العديد من اوراق الضغط التي تحول دون اقدام الولايات المتحدة على فرض عقوبات اقتصادية ضدهم تمهد لضربات عسكرية.

ويمكن تلخيص اوراق القوة الايرانية في النقاط الرئيسية التالية:

● اولا: الولايات المتحدة ليست في موقع يؤهلها لفتح جبهة جديدة ضد ايران، فهي تواجه حاليا ازمة تجربة الصواريخ بعيدة المدى في كوريا الشمالية، مثلما تواجه انهيار مشروعها السياسي والعسكري في العراق. فالبلد يعيش حربا اهلية طائفية، وخطط حكومة نوري المالكي التي علقت عليها واشنطن آمالا عريضة في فرض الامن وتشكيل حكومة وطنية فاقمت من خطورة الاوضاع وانفلات الوضع الامني بدلا من ان يحدث العكس.

● ثانيا: هددت الحكومة الايرانية باستخدام سلاح النفط في مواجهة اي عقوبات اقتصادية تفرض عليها سواء من قبل الولايات المتحدة او الامم المتحدة. فايران تنتج اكثر من ثلاثة ملايين برميل يوميا، ووقف صادراتها ربما يؤدي الى ارتفاع اسعار النفط الى اكثر من مئة دولار للبرميل، وربما يتجاوز هذا الرقم اذا صعدت ايران من موقفها واغلقت مضيق هرمز في فم الخليج، وحرمت العالم من 18 مليون برميل تمر عبره يوميا.

● ثالثا: تدرك الحكومة الايرانية ان اي عقوبات اقتصادية تفرضها عليها الامم المتحدة من خلال مجلس الامن ستلحق الضرر بالعديد من الشركات الاوروبية المتعاملة معها، فايران تشكل سوقا كبيرا للبضائع الاوروبية، وتملك ثاني اكبر احتياطي للغاز في العالم، وهناك العديد من الشركات الغربية التي تخطط للاستثمار في هذا القطاع بالذات. وتكفي الاشارة الى ان حجم التبادل التجاري بين ايران وبريطانيا يصل الى ملياري دولار سنويا.

● رابعا: اي حصار اقتصادي لايران من قبل الولايات المتحدة سيفتح الباب على مصراعيه امام الشركات الصينية على وجه الخصوص خاصة تلك الراغبة في الاستثمار في الصناعات النفطية، فالحصار الاقتصادي الامريكي على السودان وفنزويلا قدم البلدين هدية سائغة للشركات الصينية.

الرفض الايراني للصفقة الامريكية الاوروبية رمى الكرة مرة اخرى في الملعب الامريكي واصبح لزاما على الادارة الامريكية ان تقرر كيف ستتعامل مع هذه المعضلة.

القيادة الايرانية تلعب اوراقها بشكل ذكي وفاعل حتى الان، وابرزها كسب اكبر قدر ممكن من الوقت لتطوير برامجها النووية.

ولا يوجد ادنى شك بان الادارة الامريكية على وعي بهذا التكتيك، ولكن اي خطوة تقدم عليها ضد ايران ستكون محفوفة بالمخاطر علاوة على كونها غير مضمونة النتائج.

جيش اسرائيل الأخلاقي!!

محمد كريشان

■ اتهام وزارة الصحة الفلسطينية اسرائيل بقصف قطاع غزة بقنابل تحتوي على مواد سامة ومشعة محرمة دولية، تتسبب في تمزيق واحتراق أجساد الشهداء والجرحى الفلسطينيين، اتهام يجب ألا يظل معلقا بل لا بد من تأكيده، أو نفيه، من خلال لجنة تحقيق طبية دولية مختصة للوقوف على مدى دقة ما قاله تقرير الوزارة من أن معظم الاصابات الناتجة عن حملة « أمطار الصيف» المتواصلة منذ أسبوعين ضد غزة سببتها قذائف غير تقليدية تؤدي الى بتر الأعضاء وحرق كامل الجسم بشكل لم يعهد من قبل في الاصابات الناتجة عن شظايا القنابل المعروفة.

اذا افترضنا أن هذا الاتهام الخطير الذي سارع المتحدثون الاسرائيليون الى نفيه ادعاء مغرض الهدف منه تشويه العدو وتلطيخ سمعته، فان الأمر في هذه الحالة يمثل فرصة ذهبية على حكومة أولمرت ألا تفوتها وأن تقبل سريعا بالتحقيق الدولي لفضح مدى التجني الفلسطيني على الحقائق لاسيما اذا خلص العالم أن الحكومة الفلسطينية الحالية ليست فقط « ارهابية» وانما أيضا حكومة تعتمد الكذب الفاضح. أما اذا رفضت الحكومة الاسرائيلية القبول بهكذا لجنة، كما دأبت عادة في كل مرة تطالبها أي جهة بذلك، فان الأمر لن يعود من قبل أي طرف محايد نزيه الا بمثابة اعتراف صريح بالتهمة مع ما يستدعيه ذلك من اجراءات من الفضيحة أن يقع غض النظر عنها أو محاولة تجاوزها.

مع بداية انتفاضة الأقصى في سبتمبر (سبتمبر) 2000، أطلق الزعيم الراحل الشهيد ياسر عرفات اتهامات متكررة أن اسرائيل تستعمل اليورانيوم المستنفد في قصفها للمدنيين الفلسطينيين لكن لا أحد أعار الأمر كبير اهتمام، ناهيك عن التحقيق فيه، خاصة في ظل رفع الغطاء الدولي والعربي تدريجيا عن « الختيار» ما أدى الى محاصرته ثم قتله. أما حين تقرر ارسال لجنة تحقيق دولية، بعد كثير اعتراض وعناد اسرائيلي وأمريكي، للنظر في اتهامات جرائم الحرب الاسرائيلية في جنين، أو جينينغراد كما قال عرفات، فقد تم الالتفاف سريعا على الموضوع ومقايضته في اطار احدى صفقات رفع الحصار عن المقاطعة في رام الله.

لا بد هذه المرة للفلسطينيين من الاصرار على طلب التحقيق الدولي في اتهامات وزارة الصحة، فاما أن يؤكدها ويفضحها هذا التحقيق واما أن يأتي تأكيدها الضمني من خلال اصرار الحكومة الاسرائيلية على رفض استقبالها أو التعاون معها وهذا في حد ذاته ادانة لها، خاصة اذا تمكنت من دخول غزة سريعا والتحقيق في حالات جرحى وشهداء قبل دفنهم. أما المسألة الأخرى التي لا بد من التركيز عليها وابرازها اعلاميا على الصعيد الدولي الواسع فهي أن ضحايا هذه الأسلحة هم من المدنيين العزل الأبرياء وكثير منهم أطفال ونساء، مما يسحب بشكل كبير ودرامي ما كانت اسرائيل تسعى دائما للتشهير به من أن «حماس» تستهدف المدنيين ولهذا فهي برأيها حركة ارهابية دموية.

نتائج تحقيق طبي دولي سريع سيجعلنا نقف على الحقيقة العارية لما قاله ايهود أولمرت بعد مجزرة عائلة البنت غالية على شاطئ غزة من أن الجيش الاسرائيلي هو الأكثر أخلاقية في العالم وما قاله مؤخرا وزير دفاعه عمير بيرتس من أن جيشه يتحرك داخل قطاع غزة بأخلاقيات لا يمكن لغيره أن يحرص على احترامها. لننتظر ونرا!

المشروع الاسلامي يدفع فاتورة تفجيرات 7/7

د. سعيد الشهابي *

■ في الاسبوع الماضي اختلطت اجواء الاهتمام بالنتائج النهائية لكأس العالم (الذي فازت به ايطاليا) بالأجواء التي صاحبت الذكرى الاولى لتفجيرات لندن التي حدثت في السابع من يوليو من العام الماضي، وتداخلت النقاشات حول مسألة الارهاب على صعد شتى، في الوقت الذي شهدت فيه العاصمة البريطانية انعقاد مهرجان كبير حول الاسلام استقطب اهتماما كبيرا من المسلمين وغيرهم، وهدف لتقديم صورة اخرى لهذا الدين. وكما ان تفجيرات لندن ما تزال محاطة بالغموض والتساؤلات التي لا تجد اجابات وافية من أحد، فان مسائل الارهاب والتطرف وما يوازيها من طروحات حول التعايش السلمي والاعتدال والتحمل، هي الأخرى قضايا موضع نقاش متواصل، وكلما تعمق النقاش حولها ازدادت غموضا، واثارة للجدل. فالقضايا التي تفرض الازمات مناقشتها كثيرا تستعصي على الفهم احيانا، لان النقاش بشأنها يصطدم بجدران من التعصب او الجهل او التحدي، تمنع الانفتاح النفسي على الحقائق والمنطق السوي. ان هناك حالة احتقان سياسي وايديولوجي لم يسبق لها مثيل في المنطقة، لها اسباب عديدة من اهمها عدم استعداد الغرب لاستيعاب الاسباب التي تشجع على التطرف والارهاب من جهة، ومن بينها سياساته في العالم الاسلامي. وهكذا فما ان تبدو هناك فرصة للتفاهم او التهدئة، حتى يحدث ما يعكر الاجواء ويقضي على تلك الفرصة. ولذلك، فبرغم مرور خمسة اعوام على اعلان الولايات المتحدة وبريطانيا حربهما ضد الارهاب، ما يزال هذا الارهاب يقض مضاجع طيف اوسع من البشر. فاذا كان هذا الارهاب حتى حوادث 11 ايلول (سبتمبر) 2001 موجها ضد الولايات المتحدة بشكل خاص، فقد أصبح اليوم أوسع مدى، وطال عددا من البلدان العربية والاسلامية. العراق يمثل اليوم القطب الاكبر لاستقطاب العناصر المتشددة من كافة انحاء العالم الاسلامي، ولكنه ليس الوحيد، فمصر والاردن وتركيا وافغانستان وغيرها اصبحت تعاني من اعمال العنف والارهاب ايضا.

الواضح انه بعد حوادث ايلول (سبتمبر)، استطاعت واشنطن، بقدرة قادر، ابعاد الارهاب عن اراضيها، وحصره في البلدان العربية والاسلامية. فبعثت اكثر من 150 الفا لاحتلال العراق لأسباب عديدة من بينها استقطاب المجموعات المسلحة، خصوصا المرتبطة بتنظيم القاعدة، بعيدا عن المدن الامريكية والغربية عموما. قامت بذلك ادراكا منها ان ذلك التنظيم لا يستطيع التخطيط لاعمال ارهابية في كل مكان، وان من الافضل محاصرة عناصره في بلد واسع مثل العراق او افغانستان. وليس مستبعدا ان تكون حوادث لندن التي حدثت قبل عام واحد عملا منفردا قامت به مجموعة تأثرت بأفكار القاعدة وليست مرتبطة بها ارتباطا عضويا. فليس من الصعب أبدا قيام اية مجموعة سياسية او ايديولوجية او مسلحة بتجنيد عناصر محدودة في مجتمع واسع، خصوصا مع توفر الاسباب الدافعة للاحتقان والمشجعة على العمل الذي يستقطب اعلاما واسعا لمن يخطط له. هذه العناصر تكون عادة هامشية في الجاليات التي تنتمي اليها، وليس من رموزها. وتستطيع، اذا كانت مستعدة للموت، استقطاب الاهتمام الذي يفوق حجمها كثيرا، خصوصا في عالم اصبحت عوامل الإثارة فيه اساسية للتسويق ليس التجاري فحسب، حتى الفكري والسياسي والايديولوجي. ولا شك ان المجموعة التي ارتكبت جرائم التفجير في العاصمة البريطانية العام الماضي، حققت لنفسها اهتماما يفوق حجمها، واستطاعت استقطاب اهتمام العالم. وقد وضعت الدولة البريطانية ما لديها من امكانات استخباراتية وتكنولوجية لمعرفة هذه المجموعة بشكل حقيقي، ولكن حتى الآن ما تزال الاسئلة تطرح بشكل يحرج أجهزة الاستخبارات البريطانية المعروفة بكفاءتها العالية وتطورها. فمن هم أعضاء هذه المجموعة، أي هل هناك اشخاص آخرون غير الاربعة الذين فجروا انفسهم وقتلوا معهم 52 شخصا من كافة الاعراق والاديان؟ هل هناك من قام بتدريبهم على صنع المتفجرات؟ كيف كانت خطتهم بالضبط، وهل تحققت تماما؟ هل هناك خلايا اخرى نائمة تنتظر الاشارة لتنفيذ ما لديها من مخططات؟ تساؤلات كثيرة ما تزال تطرح للتعرف على حقيقة الحدث الأهم من نوعه في بريطانيا منذ اعمال العنف التي كانت المجموعات الايرلندية تمارسها في الثمانينات والتسعينات.

وثمة أمور مؤكدة ترتبط بما جرى في لندن العام الماضي. أولها ان المجموعة، حتى لو ثبت وجود اعضاء آخرين معها، صغيرة جدا، وثانيها: ان اغلب افرادها من الشباب اليافعين، وثالثها: انها استقطبت اهتماما واسعا، ولكنها لم تحقق تغييرا لصالح أجندتها، ان كان لديها ثمة اجندة محددة. ورابعها، انها أحدثت ارباكا، ليس في صفوف الدولة البريطانية فحسب، بل في اوساط الجالية الاسلامية في هذا البلد، وكان لها انعكاسات سلبية على اوضاع هذه الجالية، وعلاقتها ببقية قطاعات المجتمع البريطاني. وخامسها، انها، برغم ضآلة عدد افرادها، قد تكون، كما جاء على لسان احد افرادها في شريط فيديو بثته قناة الجزيرة الاسبوع الماضي، بداية لأعمال عنف قادمة، الامر الذي يثير القلق الشديد لدى الاجهزة السياسية والامنية والعسكرية البريطانية. قد تكون تلك التهديدات خيالية، ولكن لا يمكن التقليل من شأنها، خصوصا لدى الاجهزة الامنية المكلفة الحفاظ على حماية المواطنين بالدرجة الاولى. وكانت تلك الاجهزة قد اتهمت العام الماضي بالتقصير لانها لم تتنبأ بحدوث تلك العمليات الارهابية. وازدات الضغوط عليها عندما تم الكشف عن حقائق اخرى، من بينها ان بعض افراد المجموعة، خصوصا قائدها، محمد صديق خان، كان على قائمة المشتبه بهم لدى جهازي الاستخبارات العسكرية: ام آي 5 و ام آي 6 منذ العام 2003، ولكنه، وفق الرواية الرسمية، لم يعتبر عنصرا خطيرا جدا، ولذلك انتهت مراقبته لاحقا. وتم التراشق الاعلامي والسياسي بين اجهزة الدولة البريطانية، واعتبر البعض ان تقليص الدعم المالي لاجهزة الاستخبارات جعلها غير قادرة على ملاحقة المشتبه بهم حتى نهاية الطريق، وانه لو كانت ثمة اموال كافية متوفرة لدى هذه الاجهزة فلربما استطاعت منع حدوث تلك الاعمال الارهابية. هذا التراشق بالتصريحات والتصريحات المضادة يؤكد وجود حالة من التوتر والاضطراب وعدم الاستقرار في اوساط اجهزة الدولة البريطانية، بمن فيها رئيس الوزراء. وما يزال الجدل محتدما حول مدى ارتباط اعمال العنف والارهاب التي حدثت في لندن بقرار حكومة توني بلير دخول الحرب الى جانب الولايات المتحدة. هذا السجال ادى الى انخفاض شعبية بلير الى ادنى معدل له، حيث اظهرت آخر استطلاعات الرأي العام، انه اصبح أقل شعبية من رئيس حزب المحافظين، ديفيد كاميرون. ويزداد الضغط تباعا على الحكومة البريطانية مع تزايد سقوط الضحايا في صفوف الجيش البريطاني في جنوب العراق وافغانستان، الامر الذي اصبح مصدرا مستمرا للازعاج في الاوساط العامة.

الدولة البريطانية اليوم امام خيارات صعبة جدا، فعلاقاتها مع الولايات المتحدة الامريكية اصبحت غير قابلة للتفكيك، في الوقت الذي يتواصل فيه سقوط الضحايا بين الجنود البريطانيين. ومواقفها ازاء المشروع النووي الايراني يزيد من صعوباتها في العراق، اذ اصبح هناك ما يشبه الحرب السرية التي تخوضها اطراف ثالثة بالنيابة عن كل منهما. والحرب بالنيابة اصبحت تزيد الاوضاع تعقيدا، وتتطلب قدرا من الاخلاقية والقيم لاحتوائها لان استمرارها يكرس الازمات ولا يحل الاختلافات. ومن تبعات هذه الحرب سقوط الضحايا الابرياء، من المسلمين وغيرهم، في العراق وفي البلدان الاخرى. وكما كانت لبنان خلال الحرب الاهلية ساحة لتصفية الحسابات بين الحكومات من خلال عناصر ومجموعات وأحزاب، فقد اصبح العراق ايضا ساحة قتال اخرى ظاهرها الخلاف المذهبي بين العراقيين، وباطنها تصفية الحسابات بين الفرقاء من دول المنطقة وخارجها. بعض العراقيين يدرك خطر استمرار الوضع الحالي، ويسعى لمنع استفحاله، ولكن القضية اصبحت مدولة الى حد كبير، ولن تنتهي بقرارات عراقية داخلية فقط، بل تتطلب توافقا اقليميا ودوليا. واذا كانت الولايات المتحدة قد سعت في بداية الامر لتجاهل الرأي العام الدولي بذريعة مكافحة الارهاب، فانها وجدت نفسها في النهاية في عزلة دولية بعد ان تصاعدت الاصوات ضد استمرار الاعتقال بمعسكر غوانتنامو، وبعد ان انتشرت فضائح التعذيب في ابوغريب. والحكومة البريطانية اصبحت، هي الاخرى، تواجه تبعات الحرب بتكلفة باهظة. وقد كشف تقرير سري صادر عن شرطة (اسكوتلاند يارد) البريطانية عن ان السياسات الخارجية للحكومة البريطانية دفعت المجموعة للتخطيط للقيام باعمال عنف في المملكة المتحدة. من هذه السياسات الخارجية طريقة تعامل الحكومة البريطانية مع القضية الفلسطينية ومشاركتها المباشرة في العراق. واضاف التقرير ان الارهابيين يبررون استخدام العنف بسبب السياسات الخارجية غير العادلة تجاه قضايا المسلمين حسب تقديرهم مما جعل من المملكة المتحدة هدفا للاعمال الارهابية. هذا برغم محاولات رئيس الوزراء انكار وجود علاقة بين الحرب وتفجيرات العام الماضي الارهابية.

وعلى صعيد الجالية الاسلامية، اصبح واضحا ان المبادرة تحولت من ايدي الجيل الاسلامي القديم الى جيل جديد من المسلمين، ولد في الغرب وترعرع فيه، واصبح اكثر راديكالية وحدّة في التعاطي مع النظام السياسي الغربي. وليس مجافيا للحقيقة القول بان المشروع الاسلامي قد تم خطفه من الحركات الاسلامية التقليدية، واصبح الصوت الاقوى هو صوت التطرف والعنف، وليس صوت التعقل والاعتدال والهدوء والعمل التغييري المتدرج. القضية هنا ليست تقويم الوضع من حيث الصحة والخطأ، بل طرح توصيف واقعي للوضع الاسلامي عموما لكي يصبح ممكنا التعاطي مع الواقع وفق الحقائق وليس وفق الأحلام والآمال. فالشاب المحتقن سياسيا لم يعد ينتظر القرار من القيادات التقليدية، بل اصبح ينقاد لقيادات ميدانية شابة، تغلب عليها نزعات التطرف والعنف. فما سبب ذلك؟ لا شك ان عجز القيادات التقليدية عن تجديد نفسها وادواتها الادارية له دوره في هذا الاستقطاب، ولكن سياسات الدول الغربية، خصوصا الولايات المتحدة وبريطانيا، اصبحت عوامل مشجعة على هذه النزعات. بل ان هناك من يقول بان الحرب الطائفية التي تدور رحاها في العراق، انما هي بتخطيط خارجي لا يخلو من أيد اسرائيلية، لان العراقيين لم يعرفوا بالتطرف او النزعات الطائفية من قبل. يستشهد اصحاب هذا الرأي بقرائن عديدة من بينها تقلص الاهتمام العربي والاسلامي بقضية فلسطين، وقدرة قوات الاحتلال الاسرائيلية على تنفيذ خططها بدون ان تخشى ردة فعل عربية او اسلامية رادعة. فها هي تجتاح غزة وتعتقل الوزراء الفلسطينيين، وتقتل في يوم واحد اكثر من ثلاثين شخصا، بدون ان يتحرك احد ضد العدوان. فلماذا لا يتوجه تنظيم «القاعدة» الى فلسطين ويستهدف قوات الاحتلال هناك؟ لقد نجح مخططو الفتنة العراقية ليس في نقل المعركة بعيدا عن الاحتلال الحقيقي في فلسطين فحسب، بل في اضعاف هيبة المقاومين الحقيقيين للاحتلال الاسرائيلي، وحرمانهم من الدعم الشعبي والاهتمام السياسي، ونجحوا ايضا في جر الحركات الاسلامية الكبرى لذلك المخطط، وذلك بمسايرة التيارات المتطرفة في اطروحاتها السياسية ومناهج العنف وتبرير سياسات القتل والارهاب الاعمى لديها. ان ذلك ليس امتحانا فحسب، بل مخاض جديد ليس معروفا ما سينجم عنه. لقد اصبح المشروع الاسلامي برمته في أزمة، بعد ان استطاع أعداؤه التربص به وجره الى انفاق ضيقة، وآفاق هابطة من الاحتراب الطائفي تارة، والمحاصصة على اسس طائفية من جانب آخر، والتنكر العملي لما تفرزه صناديق الاقتراع ثالثة. وما تشهده الساحة البريطانية في الوقت الحاضر من هرولة على طريق «الاسلام المعتدل» ليس سوى ردة فعل غير مدروسة لأطروحات التطرف والعنف، وهو أمر لا يستقيم مع روح الاصلاح والعدل المتأصلة في الاسلام. فمن ينقذ الحركة الاسلامية، ليس من أيدي الحكام والمحتلين فحسب، بل من ابناء الاسلام الذين استهوتهم ايديولوجيات التطرف والعنف والطائفية، وفق مخطط ما يزال واضعوه غير معروفين بالاسم، وان كانت هويتهم غير خافية على أحد.

* كاتب وصحافي بحريني يقيم في لندن

العملية السياسية العراقية بحلتها المالكية القشيبة

حمدان حمدان *

■ عاشت العملية السياسية العراقية، منذ نشوئها بعد الاحتلال، حالة انفصام الشخصية مع نفسها وواقعها بآن واحد، فمنذ البداية لم يعرف العراقيون القادمون مع الاحتلال ما هو دورهم وأين سيكون موقعهم، خاصة وان الاحتلال كان حائرا في شكل الادارة التي سيُنشئها، وفيما اذا كان حاكم العراق المقبل عسكريا (جنرال غاي)، ام مدنيا مثلما جاء عليه الحاكم المدني بريمر فيما بعد.. ومن الواضح ان هذا التخبط، كان يعكس رؤى ومنافسات في مؤسسات الادارة في واشنطن، فمن جهة كانت وزارة الدفاع (رامسفيلد وجنرالاته) مؤيدة بوكالة الاستخبارات (تينت وموظفيه)، مقابل وزارة الخارجية ممثلة بالجنرال المتقاعد كولن باول، ورهط آخر من قدامى الخارجية ومحدثيها.. ومن هنا برزت شخصيات عراقية (احمد الجلبي في البداية) لتغيب اخرى.. ثم لتغيب شخصيات (بارزة)، وتحضر اخرى، ورغم هذه التبدلات والتبديلات، فان العملية السياسية انتظمت في ظل مسيرة تحاصصية طائفية واقصائية، اعتقد الامريكيون بفلاحها، ومما يؤكد ذلك، ان الامريكيين، بناء على نصائح حلفائهم الاسرائيليين، ذهبوا اول ما ذهبوا، الى حل الجيش العراقي وقوات الشرطة والأمن، مع الغاء الدولة ومؤسساتها، فاضافوا بذلك، ما يقرب من نصف مليون انسان، الى عداد الناقمين المرشحين لتلبية ميادين المقاومة مع اول نداء.

كانت العملية السياسية تستثني السنة عدا الاكراد، فيما وافق الامريكيون ـ لعماهم التاريخي ـ على قانون اجتثاث البعث، من تخيل ان البعث يمثل طائفة سُنية عروبية، دون الادراك بأن البعث تاريخيا قد ولد شيعيا، وان ما يزيد على ستمئة بعثي من مليون، هم من العرب الشيعة وسكان الوسط والجنوب. ثم مضت العملية السياسية، حتى موعد رد السيادة، في حزيران (يونيو) من العام 2004، بمجلس حكم انتقالي، اكثريته الكاثرة، من شيعة «ايران» واكراد «واشنطن»، ورغم ان السيد العلاوي، اراد طلاء الوضع بظاهرية تعددية، باقحام افراد من السنة في وزارته، الا ان واقع انتقال العراق الى السياسات الطائفية والاثنية، كان اقوى من برنامجه، هذا فضلا عن ان علاوي لم يشمله قانون اجتثاث البعث، ولو ان الجلبي، كان قد اشاع النميمة بشأنها.

ولم يفشل العلاوي، في وضع برنامج سياسي توافقي حسب الرغبة الامريكية، تخلصا من الخطر الايراني المتزايد، فحسب، بل فشل ايضا، في تجنيب نفسه ووزارته من جريمة ابادة الفلوجة، حين اضطر للاعلان صفاقة، بانه هو الذي امر (جيش العراق الجديد) والقوات المتعددة (كأن الامريكيين يخضعون لاوامر علاوي)، باقتحام الفلوجة بعد تحويلها الى اوابد.

ثم ازداد ـ مع نمو العملية السياسية ـ وضع العراق الطائفي شراسة، لا بسبب خلاف مذهبي بين السنة والشيعة العراقية، بل بسبب اقتحام الساحة من قبل ميليشيات مختلطة ايرانية ـ عراقية، ظلت تقوم بعمليات دموية، ضد علماء وضباط وبعثيين.. دون ان يرف لها جفن.

ولدينا شواهد حسية فيما نقول، فقد ساعدت هذه الميليشيات (منظمة بدر بصفة خاصة) القوات الامريكية اثناء الهجوم الابادي على الفلوجة، وهناك قوائم نشرت بعديد الاطباء والعلماء والضباط والبعثيين الذين لاقوا احكام الاعدام على يد بدر في العراق او على يد صولاغ في اقبية الجادرية وسواها.. اما شاهد المحسوس الحاضر، فعلى ذمة وكالة «رويترز» وليس ايتام صدام، فقد نشرت هذه الوكالة العالمية عن الشرطة العراقية قولها (في 29 حزيران 2006)، ما يلي بالحرف (ان قوات عراقية وامريكية اشتبكت مع مسلحين شيعة في قرية خرنبات شمالي بعقوبة، مما ادى الى مقتل قائد قوة عراقية للرد السريع واثنين من رجاله.. ومع حصاد المعركة، صرّح ضابط في وحدة استخبارات الشرطة في ديالى، بأننا اسرنا عددا من المسلحين ودهشنا لمعرفة ان بعضهم مقاتلون ايرانيون) وتضيف الوكالة (لقد اكد مسؤولو وزارة الداخلية العراقية انه تم اسر مقاتلين ايرانيين شمال بعقوبة).

وهذه الواقعة ليست مفردة، الا في المصدر الاعلامي المضيق عليه، فالمصدر الامريكي ليس من مصلحته، ابراز الدور الايراني في العراق، كما انه لا مصلحة للحكم العراقي في ظل احتلال، ان يتناول بالسوء موقف ايران من احداث العراق الداخلية، علما بان وزير خارجية ايران، السيد منو شهر متكي، كرر القول في واشنطن (بان طهران ترفض اجراء مباحثات مع واشنطن حول العراق حاليا.. وذلك لسلوك الامريكيين السيء تجاه ايران) ومن الواضح بداهة، ان سلوك الامريكيين السيء تجاه ايران، ليس موضوعه العراق، بل الملف النووي الايراني مقابل العراق، ورغم اننا كررنا في «القدس العربي» بأننا نحن العرب كشعب لا نقف ضد استحواز ايران للقدرة النووية، بل نقف ضد استحواز ايران للعراق! لكن الرائد لا يكذب اهله، فها هي ايران تفرش بازارها العراقي، من اجل الفوز ببرنامجها النووي، اي ان البرنامج النووي الايراني، يخرج من أكلاف شعب العراق ودمائه ببراغماتية ايرانية صريحة. وقد ساعد على ذلك، ضعف الدور العسكري الامريكي، بفضل المقاومة العراقية الوطنية، وفي الواقع، فان ايران ربحت حربين متتاليتين مجانا، على حساب امريكا، افغانستان والعراق، ففي افغانستان ارتاحت ايران من قوة اسلامية معادية اسمها طالبان، وليس ذلك فحسب، بل ارادت ان تدخل في القسمة الافغانية عن طريق الشمال، وفي العراق ارتاحت من كابوس عربي اسمه نظام البعث وصدام حسين، وكذلك دخلت في القسمة العراقية من اوسع ابوابها، ليس عن طريق الاحزاب العراقية ـ الايرانية وميليشياتها فحسب، بل عن طريق اقحام مجاميع بشرية ايرانية، تُحصل الجنسيات العراقية في طرفة عين.

وفي ظل هذه المسيرة، تتقدم العملية السياسية العراقية، الى واجهة الاعلان، في كل مرة بشكل مختلف، ومَنْ يلتقط صور هذه المسيرة، منذ مجلس الحكم الانتقالي، مرورا بالمرحلة العلاوية فالجعفرية وانتهاء بالمالكية اليوم، يلمس خواء العروض السياسية البائس، ذلك ان هذه العروض تجتمع في تقاطع مشترك هو استبعاد وضع اجندة لرحيل الاحتلال (وهو ثابت امريكي بوشي حتى الان) واستبعاد الاعتراف بالمقاومة الحقيقية العراقية (وهو ثابت امريكي يعززه ثابت ايراني بطبيعة الاحوال)، ولا يسأل اهل الحكم العراقي، من اصحاب الدعوات للعملية السياسية، عن سر الفشل الذي تنتهي اليه العملية في كل محاولة، لا لانهم يجهلون طبيعة هذا السر، بل لان القوة الاحتلالية في شكليها الامريكي والايراني، هي التي تمانع في وضع اجندة لرحيل الاحتلال، كما تمانع في الاعتراف بالمقاومة، بعد طول تسمية بالارهاب، ورغم ان السيد المالكي في وزارته الجديدة، كاد يتقدم من الاعتراف بحقائق المخرج العراقي وحلوله الناجعة، الا ان احزابا ضالعة، كالمجلس الاعلى برئيسه الحكيم صاحب مقولة مقاتلة الامويين، او حزب المهدي بر ئيسه مقتدى الصدر، صاحب مقولة النواصب وايتام صدام، وبدعم شديد من ايران، عمل الجميع ليل نهار على افشال خطة المالكي لرأب الصدع، وإلزامه بالمُضي فيما هم عازمون عليه، وسواء كان يعلم المالكي، ام لا يعلم، باطلاق موفق الربيعي لقائمته المطلوبة، رغد صدام حسين، ووالدتها السيدة الفاضلة ساجدة خير الله طلفاح، مع (ابو الوطنية والجهاد عزة الدوري)، فانه عمل اخرق، لا يشي الا بمزيد من تصديع الشعب، وغلو الحقد والانتقام.. اذ طالما ان العملية السياسية تستبعد قوى المقاومة الحقيقية، سواء كانت وطنية قومية ام اسلامية جهادية، فان مصيرها المحتوم هو الفشل الذريع، فكمن يضحك على نفسه، حين يخترع مقاومة وهمية ليتفاوض معها، ولعل الاقرب تمثيلا لهذا الدور، هو ما سمي برئيس العراق الحالي، السيد جلال طالباني، اذ اضافة الى كوميديته الضاحكة، بتلقي اتصالات من قيادات مقاومة، برغبة التفاهم والانضمام الى العملية السياسية، التي هي اشبه بتخصيب اليورانيوم في أربيل، فان السيد طالباني، ما زال عاجزا عن اعطائنا النتائج، رغم ان وعوده كانت قد انطلقت بدءا من رئاسته الاولى، مرورا بهدنة ما بين الرئاستين، وصولا الى الرئاسة الثانية فما بعدها وما زال يعد!

انهم يمنّون النفس، بتطبيع العراق مع الاحتلال، وهذا هو جوهر العمليات السياسية كلها، ومهما أذّن بلال في الجرّة، فان التناقض حاسم وصريح، اذ لا عملية سياسية مع بقاء الاحتلال، وهو واضح كعين الشمس، وكعينة من الواقع العراقي المعيش، فان الوطنية العراقية، ترفض اي شكل من اشكال الاحتلال، سواء بغزو العسكرية الامريكية، ام باختلاس فرصة مذهبية عقيمة وطارئة، فالعراق عربي من امة عربية، ولا يقلل من هذا الثابت، كون العراق في تعدديات مذهبية او اثنية، فالعالم كله يشتمل على مثل هذه التعدديات، وحتى ايران نفسها، فان الفارسية لا تزيد على اربعين بالمئة من القوميات الاخرى، فهل يستطيع صاحب العبقرية السيد الحكيم، ان يقترح فيدراليات لايران، واحدة بلوشية، واخرى اذرية، وثالثة كردية، ورابعة عربية، وخامسة تركمانية او بهائية؟ ام ان العراق اليوم، في وضعية (استضعفوك فذبحوك) لكثرة ما اجتمع عليه من اعداء؟

ومن المحزن ان العديد من اعداء العراق، هم ممن يحسبون عليه، فقد مضى حين من الدهر، ودواخل العراق تنهشه باكثر من خارجه، اذ ما ان كفت الوحشية الامريكية عن اداء واجباتها في البلدات العراقية المقاومة، حتى افسح في المجال لوحشية طوائفية وشعوبية عز نظيرها، فمن الفلوجة الاولى الى الفلوجة الثانية، ومنها الى الموصل فسامراء وكركوك وتلعفر والقائم فالرمادي حتى الضمير على الحدود السورية.. هذا وقد شارك الوحش الطائفي والاثني الامريكيين في جرائم موصوفة ومفضوحة من الاعلام الامريكي نفسه، وكان من طبيعة الاشياء ان يتم تبادل الاحتقانات المجتمعية نتيجة لقتل ابناء العراق على يد امريكيين بمسادات طائفية واثنية، مما تسبب بموجب قانون البادئ اظلم ـ في خلق اجواء الاحتراب على الهوية علما بان الهوية ذاتها، ليست محرك الاحتراب ودافعه، بل الموقف من القوى الغازية والطامعة بالعراق ومستقبل العراق.

وبالعودة الى العملية السياسية بحلتها القشية في رداء المالكي، فان عطبها الرئيسي يكمن في ما تتجاهله، جلاء الاحتلال والاعتراف بالمقاومة كممثل اساسي للشعب العراقي.. فاذا كانت امريكا قد عجزت عن اختراق المقاومة بألعابها السياسية، بعد ان فشلت باخضاعها عن طريق القوة، فكيف تحلم ايران بتحقيق ما عجزت عنه امريكا؟ وهل من المحتم ان تسفح ايران دماء ابنائها في العراق من جديد؟

لا داعي لتجرع كأس السم ثانية في ظل خرافات كردية حالمة.

* كاتب فلسطيني يقيم في دمشق

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ
فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف/فاكس: 5066089 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN

Head